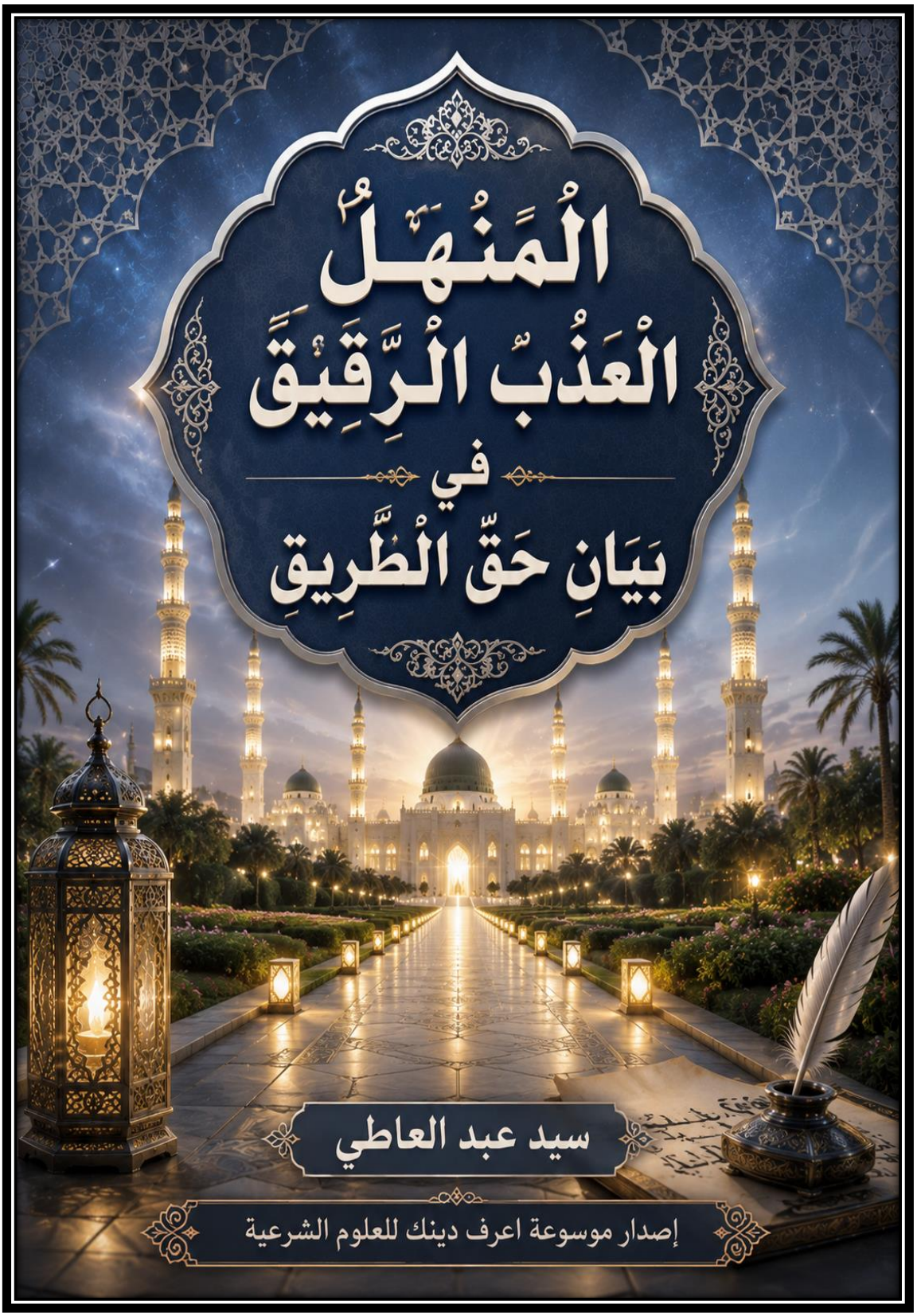
الْمَنْهَلُ
الْعَذْبُ الرَّقِيقُ
في
بَيَانِ حَقِّ الطَّرِيقِ
سيد عبد العاطي
إصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ الرَّقِيقُ فِي بَيَانِ حَقِّ الطَّرِيقِ

الحَمْدُ للهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، الفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ وَمُبَلِّغُ النَّاسِ شَرْعَهُ، مَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

• فَإِنَّ التَّمَسُّكَ بِشَرَائِعِ الإِسْلَامِ سَعَادَةٌ فِي الدُّنْيَا وَفَلَاحٌ فِي الآخِرَةِ،فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }.(فُصِّلَتْ: ٣٠)..

فِي هَذِهِ الآيَةِ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَوْلِيَائِهِ، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ، تَنْشِيطُهُمْ، وَالحَثُّ عَلَى الاقْتِدَاءِ بِهِمْ، فَقَالَ: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } أَيْ:

اعْتَرَفُوا وَنَطَقُوا وَرَضُوا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، عِلْمًا وَعَمَلًا، فَلَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ.{ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ } الكِرَامُ،- أَيْ: يَتَكَرَّرُ نُزُولُهُمْ عَلَيْهِمْ، مُبَشِّرِينَ لَهُمْ عِنْدَ الاحْتِضَارِ.{ أَلَّا تَخَافُوا } عَلَى مَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ أَمْرِكُمْ، { وَلَا تَحْزَنُوا } عَلَى مَا مَضَى، فَنَفَوْا عَنْهُمُ

المَكْرُوهَ المَاضِيَ وَالمُسْتَقْبَلَ، { وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } فَإِنَّهَا قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ وَثَبَتْ، وَكَانَ وَعْدُ اللهِ مَفْعُولًا.

• تَبْصِرَةٌ:

-أَصْلُ الكَمَالِ الإِنْسَانِيِّ إِيمَانٌ بِاللهِ يَطْرَحُ خَبَائِثَ الشُّكُوكِ المُحَيِّرَةِ، وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى أَمْرِ اللهِ بِإِصَابَةِ الحَقِّ وَسُلُوكِ دَرْبِهِ

-جَوْهَرُ الاسْتِقَامَةِ الاعْتِدَالُ،بِلَا غُلُوٍّ وَإِفْرَاطٍ، وَلَا تَقْصِيرٍ وَتَفْرِيطٍ، فَهِيَ مَسْلَكُ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَدَرْبُ العَارِفِينَ المُخْبِتِينَ

-لَمَّا كَانَتِ الاسْتِقَامَةُ أَمْرًا شَاقًّا عَلَى النَّفْسِ، كَانَ جَزَاءُ مَنْ لَزِمَهَا وَصَبَرَ عَلَى تَكَالِيفِهَا أَنْ تُحِبَّهُ المَلَائِكَةُ وَتُبَشِّرَهُ بِالرِّضْوَانِ، وَالفَوْزِ بِالجِنَانِ.

-سَبَقَتْ لِلمُؤْمِنِينَ البُشْرَى، فَلَا خَوْفٌ يَعْتَرِيهِمْ، وَلَا فَزَعٌ يُؤْذِيهِمْ، يَخْرُجُونَ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَبِوَعْدِ رَبِّهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ.

-لِيَسْتَحْضِرِ المُؤْمِنُ دَوْمًا هَذَا الوَعْدَ الإِلَهِيَّ المُتَجَدِّدَ لَهُ بِالجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، لِيُسَارِعَ بِهِمَّةٍ إِلَى الطَّاعَاتِ، وَيَنْأَى بِحَزْمٍ عَنِ المُنْكَرَاتِ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.(النَّحْلُ:٩٧).

-قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ } فَإِنَّ الإِيمَانَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَقَبُولِهَا، بَلْ لَا تُسَمَّى أَعْمَالًا صَالِحَةً إِلَّا بِالإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ مُقْتَضٍ لَهَا، فَإِنَّهُ التَّصْدِيقُ الجَازِمُ المُثْمِرُ لِأَعْمَالِ الجَوَارِحِ مِنَ الوَاجِبَاتِ وَالمُسْتَحَبَّاتِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ {

فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } وَذَلِكَ بِطُمَأْنِينَةِ قَلْبِهِ، وَسُكُونِ نَفْسِهِ، وَعَدَمِ التِفَاتِهِ لِمَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، وَيَرْزُقُهُ اللهُ رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

{ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ } فِي الآخِرَةِ { أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } مِنْ أَصْنَافِ اللَّذَّاتِ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.فَيُؤْتِيهِ اللهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً.

• تَبْصِرَةٌ:

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: -أَيُّ حَيَاةٍ أَطْيَبُ مِنْ حَيَاةِ مَنِ اجْتَمَعَتْ هُمُومُهُ فَصَارَتْ هَمًّا وَاحِدًا، وَهُوَ مَرْضَاةُ اللهِ وَالقُرْبُ مِنْهُ وَالتَّوَدُّدُ إِلَيْهِ بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَصَارَ ذِكْرُ مَحْبُوبِهِ الأَعْلَى، وَالشَّوْقُ إِلَيْهِ هُوَ المُسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ؟! المُؤْمِنُ فِي حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا، فَقَنَاعَتُهُ وَرِضَاهُ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، وَأَمَلُهُ بِحُسْنِ الثَّوَابِ وَعَظِيمِ الأَجْرِ هُوَ رَوْحُهُ وَرَيْحَانُهُ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.(النُّورُ:٥٥).

-قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ هَذَا مِنْ أَوْعَادِهِ الصَّادِقَةِ، الَّتِي شُوهِدَ تَأْوِيلُهَا وَمُخْبَرُهَا، فَإِنَّهُ وَعَدَ مَنْ قَامَ بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الأَرْضِ، يَكُونُونَ هُمُ الخُلَفَاءَ فِيهَا، المُتَصَرِّفِينَ فِي تَدْبِيرِهَا، وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلَامِ، الَّذِي فَاقَ الأَدْيَانَ كُلَّهَا، ارْتَضَاهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، لِفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهَا، بِأَنْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ إِقَامَتِهِ، وَإِقَامَةِ

شَرَائِعِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ، لِكَوْنِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَدْيَانِ وَسَائِرِ الكُفَّارِ مَغْلُوبِينَ ذَلِيلِينَ، وَأَنَّهُ يُبَدِّلُهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمُ الَّذِي كَانَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَذًى كَثِيرٍ مِنَ الكُفَّارِ، وَكَوْنِ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ قَلِيلِينَ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَقَدْ رَمَاهُمْ أَهْلُ الأَرْضِ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَبَغَوْا لَهُمُ الغَوَائِلَ.

فَوَعَدَهُمُ اللهُ هَذِهِ الأُمُورَ وَقْتَ نُزُولِ الآيَةِ، وَهِيَ لَمْ تُشَاهَدِ الاسْتِخْلَافُ فِي الأَرْضِ وَالتَّمْكِينُ فِيهَا، وَالتَّمْكِينُ مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ، وَالأَمْنُ التَّامُّ، بِحَيْثُ يَعْبُدُونَ اللهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ، فَقَامَ صَدْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ، مِنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ بِمَا يَفُوقُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَمَكَّنَهُمْ مِنَ البِلَادِ وَالعِبَادِ، وَفُتِحَتْ مَشَارِقُ الأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَحَصَلَ الأَمْنُ التَّامُّ وَالتَّمْكِينُ التَّامُّ، فَهَذَا مِنْ آيَاتِ اللهِ العَجِيبَةِ البَاهِرَةِ، وَلَا يَزَالُ الأَمْرُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، مَهْمَا قَامُوا بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ مَا وَعَدَهُمُ اللهُ، وَإِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِمُ الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ، وَيُدَالُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، بِسَبِ إِخْلَالِ المُسْلِمِينَ بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

{ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ْ } التَّمْكِينِ وَالسَّلْطَنَةِ التَّامَّةِ لَكُمْ، يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، { فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ْ } الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَفَسَدُوا، فَلَمْ يَصْلُحُوا لِصَالِحٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَهْلِيَّةٌ لِلخَيْرِ، لِأَنَّ الَّذِي يَتْرُكُ الإِيمَانَ فِي حَالِ عِزِّهِ وَقَهْرِهِ، وَعَدَمِ وُجُودِ الأَسْبَابِ المَانِعَةِ مِنْهُ، يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ نِيَّتِهِ، وَخُبْثِ طَوِيَّتِهِ، لِأَنَّهُ لَا دَاعِيَ لَهُ لِتَرْكِ الدِّينِ إِلَّا ذَلِكَ.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ، أَنَّ اللهَ قَدْ مَكَّنَ مِنْ قَبْلِنَا، وَاسْتَخْلَفَهُمْ فِي الأَرْضِ، كَمَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: { وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ْ }.(الأَعْرَافُ:١٢٩).

،وَقَالَ تَعَالَى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ }.(القَصَصُ:٥-٦). }.

• تَبْصِرَةٌ:

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: -لَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ أَقْوَمَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَأَطْوَعَهُمْ لَهُ مَكَّنَهُمُ اللهُ مِنْ سِيَادَةِ العِبَادِ وَحُكْمِ البِلَادِ، وَنَصَرَهُمْ حِينَ أَظْهَرُوا كَلِمَتَهُ وَانْتَهَجُوا مَحَجَّتَهُ.

-مِنْ أَنْفَعِ الأَشْيَاءِ فِي رُسُوخِ الإِيمَانِ بَعْدَ تَدَبُّرِ القُرْآنِ العَظِيمِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ الكَرِيمِ مُطَالَعَةُ السِّيَرِ وَالفُتُوحَاتِ.

-إِنَّمَا يَكُونُ تَمْكِينُ الدِّينِ فِي القُلُوبِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فِي تَصْرِيفِ الحَيَاةِ وَتَدْبِيرِهَا، فَمَنْ كَانَ طَالِبًا لَهُ لِأُمَّتِهِ فَلْيُحَقِّقْهُ أَوَّلًا فِي نَفْسِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا.

-أَوَّلُ طَرِيقِ المُؤْمِنِينَ المُمَكَّنِ لَهُمْ خَوْفٌ وَتَضْحِيَاتٌ، وَعُقْبَاهُ أَمْنٌ وَأُعْطِيَاتٌ.

-مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ لَهُمْ حَقًّا عَلَيْهِ بِأَنْ يُعِزَّهُمْ وَيَحْفَظَهُمْ وَيَحْمِيَهُمْ وَيُمَكِّنَ لَهُمْ، إِذَا مَا وَحَّدُوهُ وَعَبَدُوهُ.

-اعْتَبِرْ بِحَالِ المُسْلِمِينَ يَوْمَ مَلَكُوا خِلَافَةَ الأَرْضِ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، فَلَمَّا فَسَقُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ذَلُّوا وَضَاعُوا، وَلَوْ عَادُوا إِلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ لَعَادَ إِلَيْهِمْ عِزُّهُمْ وَسُلْطَانُهُمْ.

• هَذَا وَمِنْ مَحَاسِنِ التَّشْرِيعِ فِي الإِسْلَامِ أَنَّهُ مَا تَرَكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَدَلَّنَا عَلَيْهِ،وَمَا تَرَكَ مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَنَهَانَا عَنْهُ وَحَذَّرَنَا مِنْهُ،وَبَيَّنَ لَنَا الحُقُوقَ وَالوَاجِبَاتِ،وَمِنْ هَذِهِ الحُقُوقِ حَقُّ الطَّرِيقِ وَيُقْصَدُ بِهِ الآدَابُ وَالأَخْلَاقُ العَامَّةُ الَّتِي تُنَظِّمُ سُلُوكَ المُسْلِمِ فِي الأَمَاكِنِ وَالمَرَافِقِ العَامَّةِ، وَتَتَجَلَّى فِي النَّهْيِ عَنْ قَطْعِ الطُّرُقِ أَوْ تَرْوِيعِ المَارَّةِ، وَالحَثِّ عَلَى التَّوَاضُعِ، وَغَضِّ البَصَرِ، وَاجْتِنَابِ أَذِيَّةِ الآخَرِينَ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ ، فَمَنْ أَعْطَى الطَّرِيقَ

حَقَّهُ سَلِمَ مِنَ الإِثْمِ وَسَلِمَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ ،مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صُنِّفَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ المُخْتَصَرَةَ وَعُنْوِنَتُ لَهَا بِهَذَا العُنْوَانِ { المَنْهَلُ العَذْبُ الرَّقِيقُ فِي بَيَانِ حَقِّ الطَّرِيقِ } وَإِلَيْكَ بَيَانُ حَقِّ الطَّرِيقِ:

• أَوَّلًا: عَلَى مَائِدَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

(أ) نَهَى القُرْآنُ الكَرِيمُ عَنْ تَرْوِيعِ وَإِخَافَةِ المَارَّةِ بِالطَّرِيقِ وَنَهَى عَنِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }.(الأَعْرَافُ:٨٦).

-{ وَلَا تَقْعُدُواْ } لِلنَّاسِ { بِكُلِّ صِرَاطٍ } أَيْ: طَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي يَكْثُرُ سُلُوكُهَا، تُحَذِّرُونَ النَّاسَ مِنْهَا { وَ } { تُوعَدُونَ } مَنْ سَلَكَهَا { وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } مَنْ أَرَادَ الاهْتِدَاءَ بِهِ { وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا } أَيْ: تَبْغُونَ سَبِيلَ اللهِ تَكُونُ مُعْوَجَّةً، وَتَمِيلُونَهَا اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِكُمْ، وَقَدْ كَانَ الوَاجِبُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى غَيْرِكُمُ الاحْتِرَامُ وَالتَّعْظِيمُ لِلسَّبِيلِ الَّتِي نَصَبَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ لِيَسْلُكُوهَا إِلَى مَرْضَاتِهِ وَدَارِ كَرَامَتِهِ، وَرَحِمَهُمْ بِهَا أَعْظَمَ رَحْمَةٍ، وَتَصُدُّونَ لِنُصْرَتِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَالذَّبِّ عَنْهَا، لَا أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ قُطَّاعَ طَرِيقِهَا، الصَّادِّينَ النَّاسَ عَنْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ لِنِعْمَةِ اللهِ وَمُحَادَّةٌ للهِ، وَجَعْلُ أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَعْدَلِهَا مَائِلَةً، وَتُشَنِّعُونَ عَلَى مَنْ سَلَكَهَا.

{ وَاذْكُرُواْ } نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ { إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ } أَيْ: نَمَّاكُمْ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الزَّوْجَاتِ وَالنَّسْلِ، وَالصِّحَّةِ، وَأَنَّهُ مَا ابْتَلَاكُمْ بِوَبَاءٍ أَوْ أَمْرَاضٍ مِنَ الأَمْرَاضِ المُقَلِّلَةِ لَكُمْ، وَلَا سَلَّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا يَجْتَاحُكُمْ وَلَا فَرَّقَكُمْ فِي الأَرْضِ، بَلْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ، وَإِدْرَارِ الأَرْزَاقِ وَكَثْرَةِ النَّسْلِ.

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: { وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ْ } فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ فِي جُمُوعِهِمْ إِلَّا الشَّتَاتَ، وَلَا فِي رُبُوعِهِمْ إِلَّا الوَحْشَةَ وَالانْبِتَاتَ وَلَمْ يُوَرِّثُوا ذِكْرًا حَسَنًا، بَلْ أُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً، وَيَوْمَ القِيَامَةِ أَشَدُّ خِزْيًا وَفَضِيحَةً.

• تَبْصِرَةٌ:

-أَعْظَمُ الفَسَادِ الصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ الهِدَايَةِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ لِيَصِلُوا عَبْرَهَا إِلَيْهِ.

-كَثْرَةُ العَدَدِ نِعْمَةٌ تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ؛ لِكَوْنِهَا دِرْعَ قُوَّةٍ، فَإِنْ لَمْ تُشْكَرْ فَالاسْتِئْصَالُ يَرْصُدُهَا.

-العُقَلَاءُ إِذَا تَذَكَّرُوا نِعَمَ اللهِ انْقَادُوا وَأَطَاعُوا، وَإِذَا عَرَفُوا عَاقِبَةَ المُفْسِدِينَ انْزَجَرُوا وَأَقْلَعُوا.

(ب) أَمَرَ القُرْآنُ بِالتَّوَاضُعِ وَخَفْضِ الصَّوْتِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }.(الإِسْرَاءُ:٣٧).

-يَقُولُ تَعَالَى: { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا } أَيْ: كِبْرًا وَتِيهًا وَبَطَرًا مُتَكَبِّرًا عَلَى الحَقِّ وَمُتَعَاظِمًا عَلَى الخَلْقِ.{ إِنَّكَ } فِي فِعْلِكَ ذَلِكَ { لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا } فِي تَكَبُّرِكَ بَلْ تَكُونُ حَقِيرًا عِنْدَ اللهِ وَمُحْتَقَرًا عِنْدَ الخَلْقِ مَبْغُوضًا مَمْقُوتًا قَدِ اكْتَسَبْتَ أَشَرَّ الأَخْلَاقِ وَاكْتَسَيْتَ أَرْذَلَهَا مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ لِبَعْضِ مَا تَرُومُ.

• تَبْصِرَةٌ:

-هَلَّا نَظَرَ العَبْدُ أَيْنَ هُوَ، وَمَا حَجْمُهُ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي تُقِلُّهُ، وَتَحْتَ السَّمَاءِ الَّتِي تُظِلُّهُ، إِذَنْ لَمَا تَفَاخَرَ وَلَا تَجَبَّرَ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }.(لُقْمَانُ:١٨).

-{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } أَيْ: لَا تُمِلْهُ وَتَعْبَسْ بِوَجْهِكَ النَّاسَ، تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ، وَتَعَاظُمًا.{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا } أَيْ: بَطَرًا، فَخْرًا بِالنِّعَمِ، نَاسِيًا المُنْعِمَ، مُعْجَبًا بِنَفْسِكَ.{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ } فِي نَفْسِهِ وَهَيْئَتِهِ وَتَعَاظُمِهِ { فَخُورٍ } بِقَوْلِهِ.

• تَبْصِرَةٌ:

-تَصْعِيرُ الخَدِّ وَالتَّبَخْتُرُ فِي المَشْيِ مِنْ مَظَاهِرِ التَّعَالِي وَالعُجْبِ، وَذَلِكَ مِمَّا يُسَبِّبُ العُزْلَةَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَيُبْعِدُهُ عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَفَى بِهَا مَذَمَّةً.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }.(لُقْمَانُ:١٩).

-{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ } أَيْ: امْشِ مُتَوَاضِعًا مُسْتَكِينًا، لَا مَشْيَ البَطَرِ وَالتَّكَبُّرِ، وَلَا مَشْيَ التَّمَاوُتِ.{ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ } أَدَبًا مَعَ النَّاسِ وَمَعَ اللهِ، { إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ } أَيْ أَفْظَعُهَا وَأَبْشَعُهَا { لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } فَلَوْ كَانَ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ البَلِيغِ فَائِدَةٌ وَمَصْلَحَةٌ، لَمَا اخْتُصَّ بِذَلِكَ الحِمَارُ، الَّذِي قَدْ عُلِمَتْ خِسَّتُهُ وَبَلَادَتُهُ.وَهَذِهِ الوَصَايَا، الَّتِي وَصَّى بِهَا لُقْمَانُ لِابْنِهِ، تَجْمَعُ أُمَّهَاتِ الحِكَمِ، وَتَسْتَلْزِمُ مَا لَمْ يُذْكَرْ مِنْهَا، وَكُلُّ

وَصِيَّةٍ يُقْرَنُ بِهَا مَا يَدْعُو إِلَى فِعْلِهَا، إِنْ كَانَتْ أَمْرًا، وَإِلَى تَرْكِهَا إِنْ كَانَتْ نَهْيًا.وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ الحِكْمَةِ، أَنَّهَا العِلْمُ بِالأَحْكَامِ، وَحِكَمِهَا وَمُنَاسَبَاتِهَا، فَأَمَرَهُ بِأَصْلِ الدِّينِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَنَهَاهُ عَنِ الشِّرْكِ، وَبَيَّنَ لَهُ المُوجِبَ لِتَرْكِهِ، وَأَمَرَهُ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَبَيَّنَ لَهُ السَّبَبَ المُوجِبَ لِبِرِّهِمَا، وَأَمَرَهُ بِشُكْرِهِ وَشُكْرِهِمَا، ثُمَّ احْتَرَزَ بِأَنَّ مَحَلَّ بِرِّهِمَا وَامْتِثَالَ أَوَامِرِهِمَا، مَا لَمْ يَأْمُرَا بِمَعْصِيَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَعُقُّهُمَا، بَلْ يُحْسِنُ إِلَيْهِمَا، وَإِنْ كَانَ لَا يُطِيعُهُمَا إِذَا جَاهَدَاهُ عَلَى الشِّرْكِ.وَأَمَرَهُ بِمُرَاقَبَةِ اللهِ، وَخَوَّفَهُ القُدُومَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، إِلَّا أَتَى بِهَا.

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: وَنَهَاهُ عَنِ التَّكَبُّرِ، وَأَمَرَهُ بِالتَّوَاضُعِ، وَنَهَاهُ عَنِ البَطَرِ وَالأَشَرِ، وَالمَرَحِ، وَأَمَرَهُ بِالسُّكُونِ فِي الحَرَكَاتِ وَالأَصْوَاتِ، وَنَهَاهُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ.وَأَمَرَهُ بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَبِالصَّبْرِ اللَّذَيْنِ يَسْهُلُ بِهِمَا كُلُّ أَمْرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

فَحَقِيقٌ بِمَنْ أُوصِيَ بِهَذِهِ الوَصَايَا، أَنْ يَكُونَ مَخْصُوصًا بِالحِكْمَةِ، مَشْهُورًا بِهَا. وَلِهَذَا مِنْ مِنَّةِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ، أَنْ قَصَّ عَلَيْهِمْ مِنْ حِكْمَتِهِ، مَا يَكُونُ لَهُمْ بِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.

• تَبْصِرَةٌ:

-كَمَا عَلَى المَرْءِ أَنْ يُحْسِنَ مَعَ النَّاسِ مُعَامَلَاتِهِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ مِنْ هَيْئَتِهِ، فِي مِشْيَتِهِ وَفِي كَلَامِهِ.

(ج) غَضُّ البَصَرِ لِحِمَايَةِ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَسَلَامَةِ المَارَّةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }.(النُّورُ: ٣٠).

-أَيْ: أَرْشَدَ المُؤْمِنِينَ، وَقُلْ لَهُمْ: الَّذِينَ مَعَهُمْ إِيمَانٌ، يَمْنَعُهُمْ مِنْ وُقُوعِ مَا يُخِلُّ بِالإِيمَانِ: { يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } عَنِ النَّظَرِ إِلَى العَوْرَاتِ وَإِلَى النِّسَاءِ الأَجْنَبِيَّاتِ، وَإِلَى المُرْدَانِ، الَّذِينَ يُخَافُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمُ الفِتْنَةُ، وَإِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفْتِنُ، وَتُوقِعُ فِي المَحْذُورِ.

{ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } عَنِ الوَطْءِ الحَرَامِ، فِي قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ، أَوْ مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعَنِ التَّمْكِينِ مِنْ مَسِّهَا، وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا.

{ ذَلِكَ } الحِفْظُ لِلأَبْصَارِ وَالفُرُوجِ { أَزْكَى لَهُمْ } أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَأَنْمَى لِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ وَبَصَرَهُ، طَهُرَ مِنَ الخَبَثِ الَّذِي يَتَدَنَّسُ بِهِ أَهْلُ الفَوَاحِشِ، وَزَكَتْ أَعْمَالُهُ، بِسَبِ تَرْكِ المُحَرَّمِ، الَّذِي تَطْمَعُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ، فَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ، عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ المُحَرَّمِ، أَنَارَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، وَلِأَنَّ العَبْدَ إِذَا حَفِظَ فَرْجَهُ وَبَصَرَهُ عَنِ الحَرَامِ وَمُقَدِّمَاتِهِ، مَعَ دَاعِي الشَّهْوَةِ، كَانَ حِفْظُهُ لِغَيْرِهِ أَبْلَغَ، وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللهُ حِفْظًا، فَالشَّيْءُ المَحْفُوظُ إِنْ لَمْ يَجْتَهِدْ حَافِظُهُ فِي مُرَاقَبَتِهِ وَحِفْظِهِ، وَعَمَلِ الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ لِحِفْظِهِ، لَمْ يَنْحَفِظْ، كَذَلِكَ البَصَرُ وَالفَرْجُ، إِنْ لَمْ يَجْتَهِدِ العَبْدُ فِي حِفْظِهِمَا، أَوْقَعَاهُ فِي بَلَايَا وَمِحَنٍ، وَتَأَمَّلْ كَيْفَ أَمَرَ بِحِفْظِ الفَرْجِ مُطْلَقًا، لِأَنَّهُ لَا يُبَاحُ فِي حَالَةٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وَأَمَّا البَصَرُ فَقَالَ: { يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } أَتَى بِأَدَاةِ (مِنْ) الدَّالَّةِ عَلَى التَّبْعِيضِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ النَّظَرُ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ لِحَاجَةٍ، كَنَظَرِ الشَّاهِدِ وَالعَامِلِ وَالخَاطِبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ بِعِلْمِهِ بِأَعْمَالِهِمْ، لِيَجْتَهِدُوا فِي حِفْظِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ المُحَرَّمَاتِ.

• تَبْصِرَةٌ:

-إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ النَّظَرِ، فَعَلَى المُؤْمِنِ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهِ.

-أَهْلُ الإِيمَانِ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِغَضِّ البَصَرِ، فَمَنْ رَتَعَ بَصَرُهُ فِي الحَرَامِ فَلْيُرَاجِعْ إِيمَانَهُ.

-البَصَرُ رَائِدُ الشَّهْوَةِ إِلَى المَنْظُورِ، فَمَنْ حَفِظَ بَصَرَهُ أُعِينَ عَلَى حِفْظِ فَرْجِهِ مِنَ الحَرَامِ، وَمَنْ أَطْلَقَ البَصَرَ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِي الخَطَرِ أَوِ الغَمِّ.

-فِي الالْتِزَامِ بِالشَّرِيعَةِ طَهَارَةٌ لِمَشَاعِرِ العَبْدِ بِأَنْ لَا تَتَلَوَّثَ بِالمُحَرَّمَاتِ، وَلَا تَرْتَكِسَ إِلَى الدَّرَكَاتِ، وَمِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ الالْتِزَامِ الحِفَاظُ عَلَى الأَعْرَاضِ.

-مَنْ حَبَسَ بَصَرَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى أَطْلَقَ اللهُ لَهُ نُورَ بَصِيرَتِهِ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ العِلْمِ وَالإِيمَانِ وَالمَعْرِفَةِ.

-وَغَضُّ البَصَرِ كَمَا يَكُونُ فِي البُيُوتِ كَأَدَبٍ مِنْ آدَابِ الزِّيَارَةِ يَكُونُ فِي الطُّرُقَاتِ.

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى:

• وَكَمَا أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ أَمَرَ كَذَلِكَ المُؤْمِنَاتِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:

{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.(النُّورُ: ٣١).

-لَمَّا أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِغَضِّ الأَبْصَارِ وَحِفْظِ الفُرُوجِ، أَمَرَ المُؤْمِنَاتِ بِذَلِكَ، فَقَالَ: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ } عَنِ النَّظَرِ إِلَى العَوْرَاتِ وَالرِّجَالِ، بِشَهْوَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ المَمْنُوعِ، { وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } مِنَ التَّمْكِينِ مِنْ جِمَاعِهَا، أَوْ مَسِّهَا، أَوِ النَّظَرِ المُحَرَّمِ إِلَيْهَا.

{ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ } كَالثِّيَابِ الجَمِيلَةِ وَالحُلِيِّ، وَجَمِيعِ البَدَنِ كُلِّهِ مِنَ الزِّينَةِ، وَلَمَّا كَانَتِ الثِّيَابُ الظَّاهِرَةُ، لَا بُدَّ لَهَا مِنْهَا، قَالَ:

{ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا } أَيْ: الثِّيَابُ الظَّاهِرَةُ، الَّتِي جَرَتِ العَادَةُ بِلُبْسِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُو إِلَى الفِتْنَةِ بِهَا، { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ } وَهَذَا لِكَمَالِ الاسْتِتَارِ، وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الزِّينَةَ الَّتِي يَحْرُمُ إِبْدَاؤُهَا، يَدْخُلُ فِيهَا جَمِيعُ البَدَنِ، كَمَا ذَكَرْنَا.

-ثُمَّ كَرَّرَ النَّهْيَ عَنْ إِبْدَاءِ زِينَتِهِنَّ، لِيَسْتَثْنِيَ مِنْهُ قَوْلَهُ: { إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ }أَيْ: أَزْوَاجِهِنَّ { أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ } يَشْمَلُ الأَبَ بِنَفْسِهِ، وَالجَدَّ وَإِنْ عَلَا، { أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ } وَيَدْخُلُ فِيهِ الأَبْنَاءُ وَأَبْنَاءُ البُعُولَةِ مَهْمَا نَزَلُوا { أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ } أَشِقَّاءَ، أَوْ لِأَبٍ، أَوْ لِأُمٍّ.

{ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ } أَيْ: يَجُوزُ لِلنِّسَاءِ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ مُطْلَقًا، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الإِضَافَةَ تَقْتَضِي الجِنْسِيَّةَ،- أَيْ: النِّسَاءُ المُسْلِمَاتُ، اللَّاتِي مِنْ جِنْسِكُمْ، فَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ المُسْلِمَةَ لَا يَجُوزُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهَا الذِّمِّيَّةُ.{ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ } فَيَجُوزُ لِلمَمْلُوكِ إِذَا كَانَ كُلُّهُ لِلأُنْثَى، أَنْ يَنْظُرَ لِسَيِّدَتِهِ، مَا دَامَتْ مَالِكَةً لَهُ كُلَّهُ، فَإِنْ زَالَ المِلْكُ أَوْ بَعْضُهُ، لَمْ يَجُزِ النَّظَرُ.

{ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ } أَيْ: أَوِ الَّذِينَ يَتْبَعُونَكُمْ، وَيَتَعَلَّقُونَ بِكُمْ، مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا إِرْبَةَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الشَّهْوَةِ، كَالمَعْتُوهِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا هُنَالِكَ، وَكَالعِنِّينِ الَّذِي لَمْ يَبْقَ لَهُ شَهْوَةٌ، لَا فِي فَرْجِهِ، وَلَا فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ هَذَا لَا مَحْذُورَ مِنْ نَظَرِهِ.{ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ } أَيْ: الأَطْفَالُ الَّذِينَ دُونَ التَّمْيِيزِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ نَظَرُهُمْ لِلنِّسَاءِ الأَجَانِبِ، وَعَلَّلَ تَعَالَى ذَلِكَ، بِأَنَّهُمْ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ،- أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ، وَلَا وُجِدَتْ فِيهِمُ الشَّهْوَةُ بَعْدُ وَدَلَّ هَذَا، أَنَّ المُمَيِّزَ تَسْتَتِرُ مِنْهُ المَرْأَةُ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ.{ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ } أَيْ:

لَا يَضْرِبْنَ الأَرْضَ بِأَرْجُلِهِنَّ، لِيُصَوِّتَ مَا عَلَيْهِنَّ مِنْ حُلِيٍّ، كَخَلَاخِلَ وَغَيْرِهَا، فَتُعْلَمَ زِينَتُهَا بِسَبَبِهِ، فَيَكُونَ وَسِيلَةً إِلَى الفِتْنَةِ.

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا وَنَحْوِهِ، قَاعِدَةُ سَدِّ الوَسَائِلِ، وَأَنَّ الأَمْرَ إِذَا كَانَ مُبَاحًا، وَلَكِنَّهُ يُفْضِي إِلَى مُحَرَّمٍ، أَوْ يُخَافُ مِنْ وُقُوعِهِ، فَإِنَّهُ يُمْنَعُ مِنْهُ، فَالضَّرْبُ بِالرِّجْلِ فِي الأَرْضِ، الأَصْلُ أَنَّهُ مُبَاحٌ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ وَسِيلَةً لِعِلْمِ الزِّينَةِ، مُنِعَ مِنْهُ.وَلَمَّا أَمَرَ تَعَالَى بِهَذِهِ الأَوَامِرِ الحَسَنَةِ، وَوَصَّى بِالوَصَايَا المُسْتَحْسَنَةِ، وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِ تَقْصِيرٍ مِنَ المُؤْمِنِ بِذَلِكَ، أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ، فَقَالَ: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ }

لِأَنَّ المُؤْمِنَ يَدْعُوهُ إِيمَانُهُ إِلَى التَّوْبَةِ ثُمَّ عَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ الفَلَاحَ، فَقَالَ: { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } فَلَا سَبِيلَ إِلَى الفَلَاحِ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، وَهِيَ الرُّجُوعُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، إِلَى: مَا يُحِبُّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَدَلَّ هَذَا، أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّوْبَةِ، لِأَنَّ اللهَ خَاطَبَ المُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، وَفِيهِ الحَثُّ عَلَى الإِخْلَاصِ بِالتَّوْبَةِ فِي قَوْلِهِ: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ } أَيْ: لَا لِمَقْصِدٍ غَيْرِ وَجْهِهِ، مِنْ سَلَامَةٍ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا، أَوْ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ المَقَاصِدِ الفَاسِدَةِ.

• تَبْصِرَةٌ:

-لَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الرِّجَالِ مَا يُعْجِبُ الأُنْثَى إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ، كَانَتْ مَأْمُورَةً بِأَنْ تَغُضَّ بَصَرَهَا عَنْهُ.

-مَيْلُ الرَّجُلِ إِلَى المَرْأَةِ، وَالمَرْأَةُ إِلَى الرَّجُلِ أَمْرٌ جِبِلِّيٌّ، وَخُلُقٌ طَبَعِيٌّ، فَكَمَا يُؤْمَرُ الرَّجُلُ بِغَضِّ بَصَرِهِ وَحِفْظِ فَرْجِهِ، فَكَذَلِكَ المَرْأَةُ.

-انْظُرْ إِلَى دِقَّةِ التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ لَمَّا كَانَتْ مَأْمُورَةً بِالصِّيَانَةِ وَالتَّسَتُّرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا عَيْنٌ لَا يَحِلُّ لَهَا النَّظَرُ إِلَيْهَا، فَقَدْ ذُكِرَتِ الزِّينَةُ دُونَ مَوَاقِعِهَا.

-المَرْأَةُ الحَرِيصَةُ عَلَى تَمَامِ سَتْرِهَا وَحِشْمَتِهَا هِيَ الَّتِي تُعِمُّ حِجَابَهَا السَّاتِرَ عَلَى كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْهَا، وَإِطَالَةُ الخِمَارِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الجَيْبِ مِنْ أَقْوَى أَدِلَّةِ الحِجَابِ السَّاتِرِ لِلوَجْهِ وَمَا حَوْلَهُ.

-مَا مِنْ أُنْثَى إِلَّا وَهِيَ مُولَعَةٌ بِجَمَالِهَا، وَيُطْرِبُهَا ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَى حُسْنِهَا وَرَوْنَقِهَا، فَخَصَّ الإِسْلَامُ بِذَلِكَ زَوْجَهَا، وَأَبَاحَ إِبْدَاءَ بَعْضِ ذَلِكَ لِمَحَارِمِهَا.

-حِفْظُ المَرْأَةِ زِينَتَهَا لِزَوْجِهَا إِكْرَامٌ لَهَا، وَحِرْصٌ عَلَيْهَا، وَطَرِيقٌ إِلَى إِدَامَةِ العَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا، وَحِمَايَةٌ لَهَا مِنَ العُيُونِ القَاتِلَةِ، وَالذِّئَابِ الصَّائِلَةِ.

-تَعْدَادُ مَنْ يُبَاحُ إِظْهَارُ بَعْضِ الزِّينَةِ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ حُرْمَةِ اطِّلَاعِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ وَسَمَّاهُمْ بِدَقِيقِ الوَصْفِ.

-مِنْ زِينَةِ المَرْأَةِ مَا تُغْرَى بِهِ العُيُونُ، وَمِنْهُ مَا تُغْرَى بِهِ الآذَانُ، فَوَجَبَ عَلَيْهَا سَتْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

-شَرِيعَةٌ تَنْهَى عَنْ ضَرْبِ الرِّجْلِ؛ حَتَّى لَا يُعْلَمَ مَا تُخْفِي مِنْ زِينَتِهَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُبِيحَ مَا هُوَ أَشَدُّ فِتْنَةً لِلرَّجُلِ مِنْ مُجَرَّدِ صَوْتِ خَلْخَالٍ.

(د) نَهَى القُرْآنُ عَنْ إِلْحَاقِ الضَّرَرِ وَالأَذَى بِالآخَرِينَ ، وَتَوَعَّدَ مَنْ يُؤْذِي المُؤْمِنِينَ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا }.(الأَحْزَابُ:٥٨).

-قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ:{ وَإِنْ كَانَتْ أَذِيَّةُ المُؤْمِنِينَ عَظِيمَةً، وَإِثْمُهَا عَظِيمًا، وَلِهَذَا قَالَ فِيهَا: { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا } أَيْ: بِغَيْرِ جِنَايَةٍ مِنْهُمْ مُوجِبَةٍ لِلأَذَى { فَقَدِ احْتَمَلُوا } عَلَى ظُهُورِهِمْ { بُهْتَانًا } حَيْثُ آذَوْهُمْ بِغَيْرِ سَبٍ { وَإِثْمًا مُبِينًا } حَيْثُ تَعَدَّوْا عَلَيْهِمْ، وَانْتَهَكُوا حُرْمَةَ أَمْرِ اللهِ بِاحْتِرَامِهَا.وَلِهَذَا كَانَ سَبُّ آحَادِ المُؤْمِنِينَ، مُوجِبًا لِلتَّعْزِيرِ، بِحَسَبِ حَالَتِهِ وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ، فَتَعْزِيرُ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ أَبْلَغُ، وَتَعْزِيرُ مَنْ سَبَّ العُلَمَاءَ، وَأَهْلَ الدِّينِ، أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ }.

• تَبْصِرَةٌ:

-إِيذَاءُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ قَدْ يَكُونُ بِبَاطِلٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِحَقٍّ، أَمَّا إِيذَاءُ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ الكَرِيمِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِبَاطِلٍ أَبَدًا.

-إِنَّ العِقَابَ الشَّدِيدَ يَنْتَظِرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ فِي خَلْقٍ أَوْ خُلُقٍ، أَوْ حَسَبٍ أَوْ نَسَبٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَلْيَحْفَظِ العَاقِلُ لِسَانَهُ قَبْلَ أَنْ يُورِدَهُ مَوَارِدَ الهَلَكَةِ.

-المُؤْمِنُ عِنْدَ اللهِ كَرِيمٌ، فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ إِيذَائِهِ، أَوِ انْتِقَاصِهِ وَازْدِرَائِهِ.

• ثَانِيًا:عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

-وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي بَيَانِ حُقُوقِ الطَّرِيقِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(أ) أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الاسْتِئْذَانِ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بِرَقَمِ

(٥٨٧٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ }.

• شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-لَا يَحِلُّ إِيذاءُ المُسْلِمِ وَإِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهِ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، وَقَدْ رَاعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ حُقُوقَ الْجَمِيعِ وَمَصَالِحَهُمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُحَذِّرُ النَّبيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الطُّرُقَاتِ؛ عَلَى الْمَسَاطِبِ أوِ الْأرائكِ، أوْ الْكَرَاسِيّ أوِ الْفُرُشِ؛ لأنَّ الْجُلوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ يُؤدِّي -فِي الْأغْلَبِ- إلَى أذِيَّةِ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِإحْرَاجِهِمْ بِمُلَاحَقَتِهِمْ بالنَّظَرَاتِ، أوْ تَضْيِيقِ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمِ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلأنَّ الْجَالِسَ فِي الطَّرِيقِ قَدْ يَتَعَرَّضُ للفِتْنَةِ، أوْ يُعَرِّضُ غَيْرَهُ لَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ، فَلَمَّا قَالُوا للرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْهَا }، أيْ:

لَا غِنَى لَنَا عَنْهَا؛ لأنَّهَا مُجْتَمَعَاتُنَا وَأنْدِيَتُنَا الَّتِي نَتَحَدَّثُ فِيهَا بِشُؤونِنَا، ونَتذاكَرُ في مَصالِحِنا مِن أُمورِ الدِّينِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا، وَنُرَوِّحُ عَنْ نُفُوسِنَا بِالمُحَادَثَةِ فِي المُبَاحِ، وَيُسَرِّي بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ؛ فَتَرْكُهَا يَشُقُّ عَلَيْنَا، وَكَأنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْ كَلَامِهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

أنَّهُ للتَّحْذِيرِ، وَلَيْسَ للنَّهْيِ الصَّرِيحِ، أوْ أنَّ النَّهيَ للتَّنْزِيهِ، وَلَا يُرَادُ بِهِ التَّحْرِيمُ؛ لأنَّهُمْ لَمْ يَعْهَدُوا مِنَ الرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْرِيمَ نَافِعٍ، وَلَا إبَاحَةَ ضارٍّ، أوْ أنَّ النَّهيَ لمَعْنًى مُتَّصِلٍ بِالْمَجَالِسِ، لَا لِنَفْسِهَا وَذَاتِهَا، وَقَدْ يُمْكِنُهُمْ مُجَانَبَةُ هَذا الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أجْلِهِ كَانَ النَّهْيُ، وَإلَّا فَإنَّ الصَّحَابةَ- رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ-

أسْرَعُ النَّاسِ إجَابَةً لأوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُراجَعَتُهُمْ للنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتِفْسَارًا عَلَى مَا فَهِمُوهُ مِنْهُ، وَلَيْسَ مُعَارَضَةً لَهُ -حَاشَاهُمْ-، وَلَوْ عَلِمُوا أنَّ النَّهْيَ عَزْمَةٌ مِنَ الْعَزَمَاتِ مَا رَاجَعُوهُ، وَلَبَادَرُوا إلَى الامْتِثَالِ مُبَاشَرَةً، فَأجَابَهُمُ النَّبيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِمَا يدُلُّ عَلَى أنَّ النَّهْيَ لَيْسَ لِذَاتِ الْمَجَالِسِ، وَإنَّمَا هُوَ مِنْ أجْلِ حُقُوقِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْجَالِسُ؛ فَقَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ فَإذَا أبَيْتُمْ إلَّا الْمَجَالِسَ فَأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا } تَأكِيدًا لِمَا للطَّرِيقِ مِنْ آدَابٍ وحُقُوقٍ، فَسَأَلُوهُ سُؤَالَ الْمُسْتَرْشِدِ عَنْ حَقِّهَا، فَأجَابَهُمْ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقَولِهِ:{ غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الْأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ،وَأمْرٌ بِالمَعْرُوفِ،وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ }.

[١٥/٠٧/٢٠٢٦ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: -وَغَضُّ البَصَرِ: يَكُونُ بِكَفِّهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَكَفِّهِ عَنْ كُلِّ مَا تُخْشَى الْفِتْنَةُ مِنْهُ؛ فَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهِ، كَالنَّظَرِ إِلَى النِّسَاءِ ،وَأَشَارَ بِغَضِّ البَصَرِ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ التَّعَرُّضِ للفِتْنَةِ بِمَنْ يَمُرُّ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِنَّ، وَخَوْفِ مَا يَلْحَقُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ إِذَا مَرَّ النِّسَاءُ فِي الشَّوَارِعِ لِحَوَائِجِهِنَّ.

-وَكَفُّ الْأَذَى: يَكُونُ بِعَدَمِ أَذِيَّةِ الْعِبَادِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ؛ بِاللِّسَانِ أَوْ اليَدِ؛ فَلَا يَشْتُمُ، وَلَا يَسُبُّ، وَلَا يَحْتَقِرُ، وَلَا يَعِيبُ، وَلَا يَغْتَابُ، وَلَا يَضْرِبُ أَحَدًا بِالْيَدِ أَوِ الْعَصَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ اجْتَرَمَهُ، وَلَا ذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ، وَلَا يَسْلُبُ شَيْئًا مِمَّا يَحْمِلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطِيبَ بِهِ نَفْسُهُ، وَلَا يُرِيقُ الْمَاءَ فِي الطَّرِيقِ؛ لِئَلَّا تَزِلَّ بِهِ الْأَقْدَامُ، وَلَا يَضَعُ عَقَبَاتٍ يَعْثُرُ فِيهَا المُشَاةُ، وَلَا يُلْقِي قَاذُورَاتٍ أَوْ أَشْوَاكًا تَضُرُّ الْمَارَّةَ، وَلَا يُضَيِّقُ الطَّرِيقَ بِمَجْلِسِهِ أَوْ قُعُودِهِ حَيْثُ يَتَأَذَّى الْجِيرَانُ، فَيَكْشِفُ نِسَاءَهُمْ، وَيُقَيِّدُ عَلَيْهِمْ حُرِّيَّتَهُمْ، وَقَدْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى امْتِنَاعِ النِّسَاءِ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى مَصَالِحِهِنَّ بِسَبَبِ قُعُودِهِمْ فِي الطَّرِيقِ، وَالاطِّلَاعِ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ مِمَّا يَكْرَهُونَهُ، كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَذَى الَّذِي يَجِبُ كَفُّهُ وَإِبْعَادُهُ عَنِ الْمَارَّةِ، بَلْ يَشْمَلُ هَذَا كَفَّ الْأَذَى عَنِ الْحَيَوَانَاتِ كَذَلِكَ.

-وَرَدُّ السَّلَامِ:وَهَذَا وَاجِبٌ،وَفِيهِ إِكْرَامٌ للمَارِّ -وَهُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ عَلَى الْجَالِسِ- وَالسَّلَامُ وَرَدُّهُ رَسُولُ الْأُلْفَةِ وَدَاعِيَةُ الْمَحَبَّةِ؛ فَعَلَى الْجَالِسِ أَلَّا يَسْأَمَ كَثْرَتَهُ مِنَ الْمَارِّينَ؛ فَإِنَّ الْمَارَّ يَتَحَبَّبُ بِهِ إِلَى الْجَالِسِ وَيُحَيِّيهِ وَيُكْرِمُهُ؛ فَعَلَى الْجَالِسِ أَنْ يَرُدَّ السَّلَامَ وَالتَّحِيَّةَ بِمِثْلِهَا أَوْ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَيَوَدُّ مَنْ وَادَّهُ، وَيُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا }.(النِّساء: ٨٦).

-وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ: يَكُونُ بِاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ مَا يُشْرَعُ، وَتَرْكِ جَمِيعِ مَا لَا يُشْرَعُ؛ لَكِنْ بِحَيْثُ لَا يَتَعَدَّى إِلَى الْأَمْرِ الْأَنْكَرِ، حَتَّى إِنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُفِيدُ، فَإِذَا حَصَلَ أَمْرٌ يَقْتَضِي أَنْ يُوَجِّهَ إِلَى خَيْرٍ، وَأَنْ يُبَصِّرَ بِحَقٍّ؛ فَإِنَّهُ يَأمُرُ بِالْمَعرُوفِ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَى أَمْرًا مُنْكَرًا، فَإِنَّه يُنَبِّهُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ الْمُنْكَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُخَوِّفُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْ يَأمُرَ بِالْمَعْرُوفِ بِأُسْلُوبٍ حَسَنٍ، وَيَنهَى عَنِ المُنكَرِ بِغَيْرِ مُنْكَرٍ؛ فَإِذَا رَأى مُتَشَاجِرَيْنِ أَوْ مُتَقَاتِلَيْنِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَأمُرَهُمَا بِالْكَفِّ عَنْ هَذَا، وَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا رَأى شَابًّا يُلَاحِقُ فَتَاةً وَيَعْتَرِضُهَا فِي طَرِيقِهَا، فَلْيَنْصَحْ لَهُ، وَيَدْفَعْهُ عَنْ هَذَا بِمَا اسْتَطَاعَ فِي غَيْرِ تَهَوُّرٍ وَلَا إِضْرَارٍ، وَهَكَذَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يُحَقِّقَ أَوْلَى المَصَالِحِ وَأَهَمَّهَا، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ دَفْعَ الْمَفْسَدَةِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَأَنَّ الْمَفْسَدَةَ الصُّغْرَى تُحْتَمَلُ فِي جَانِبِ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ الْعُظْمَى.

• فَهَذِهِ جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آدَابِ الطَّرِيقِ، وَأَيْضًا يَدْخُلُ ضِمْنَ هَذِه الْآدَابِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: حُسْنُ الْكَلَامِ، وَإِرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ، وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَهِدَايَةُ الضَّالِّ وَإِرْشَادُهُ ، وَإِعَانَةُ الْمَظْلُومِ، وَالْمُعَاوَنةُ عَلَى حَمْلِ الْأَغْرَاضِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ نَدْبٌ إِلَى حُسْنِ مُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ لبَعْضٍ؛ فَإِنَّ الْجَالِسَ عَلَى الطَّرِيقِ يَمُرُّ بِهِ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَيَحْصُلُ بَيْنَهُمْ مُعَامَلَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ فَعَلَيهِ بحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ فِي كُلِّ هَذَا.

(ب) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ[٢٠٢٦/٠٧/١٥ ٠٨:٢٩ ص] سيد عبد العاطى: (٢٦)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُد بِرَقَمِ(٢٦)مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ

تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ }.

• شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-فَالْإِسْلَامُ دِينٌ يُرَاعِي مَصَالِحَ الْعِبَادِ، وَمَا فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَقَدْ رَبَّى النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أُمَّتَهُ عَلَى الْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ،وَالْبُعْدِ عَنْ أَذِيَّةِ النَّاسِ فِيمَا يُضطَرُّونَ إِلَيْهِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ، وَأَمَاكِنِهِم الْعَامَّةِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ }، أَيْ: تجَنَّبُوا ثَلَاثَةَ أُمُورٍ تَجْلِبُ اللَّعْنَةَ عَلَى فَاعِلِهَا، وَاللَّعْنُ: هُوَ الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهِيَ: { الْبَرَازُ فِي الْمَوَارِدِ }، أيْ: التَّبَرُّزُ أوْ إفْرَاغُ فَضَلَاتِ الْإِنْسَانِ فِي مَوَارِدِ وَمَصَادِرِ الْمِيَاهِ مثلْ الْآبَارِ وَالْأَنْهَارِ فَتَتَلَوَّثُ الْمِيَاهُ، { وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ }، وَكَذَلِكَ يَجِبُ تَجَنُّبُ وَضْعِ مُخَلَّفَاتِ الْإِنْسَانِ وَبُرَازِهِ عَلَى رُؤوسِ الطُّرُقَاتِ وَالشَّوَارِعِ حَيْثُ يَمُرُّ النَّاسُ فَيَتَأَذَّوْنَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ تجَنُّبُ وَضْعِهَا فِي { الظِّلِّ }، حَيْثُ أَمَاكِنُ اسْتِرَاحَةِ النَّاسِ مِنَ الْحَرِّ، وَسَوَاءٌ كَانَ الظِّلُّ ظِلَّ حَائِطٍ أَوْ شَجَرَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ:الْحِفَاظُ عَلَى الْبِيئَةِ وَتَحْقِيقُ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْبِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا.

(ج) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ الْإِيمَانُ

بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ }.

• شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-فَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، وَهُوَ شُعَبٌ وَدَرَجَاتٌ، وَالْخِصَالُ الْحَمِيدَةُ كُلُّهَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ الْإِيمَانِ، وَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ؛ فَالْمُؤمِنُ يَزِيدُ إِيمَانُهُ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَبِقَدْرِ تَفْرِيطِهِ فِي الطَّاعَاتِ وَارْتِكَابِهِ للمُحَرَّمَاتِ يَضْعُفُ إِيمَانُهُ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ دَرَجَاتٌ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَعْمَالٍ وَأَفْعَالٍ وَأَصْنَافٍ مِنَ الصَّالِحَاتِ،يَصِلُ عَدَدُهَا إِلَى بِضعٍ وَسَبْعِينَ -أَوْ بِضْعٍ وَسِتِّينَ- جُزْءًا، وَالْبِضْعُ:

يَدُلُّ عَلَى الْعَدَدِ مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَى تِسْعَةٍ، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْإِيمَانَ ذُو خِصَالٍ مُتَعَدِّدةٍ، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ،مِنْهَا أَعْمَالُ الْقُلُوبِ:كَالتَّوْحِيدِ،وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّجَاءِ،وَالْخَوْفِ، وَمِنْهَا أَعْمَالُ اللِّسَانِ:كَالشَّهَادَتَيْنِ،وَالذِّكْرِ،وَالدُّعَاءِ،وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَغَيْرِهَا،وَمِنْهَا أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ:كَالصَّلَاةِ،وَالصَّوْمِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ.

فَمَنْ أَتَى بِعَمَلٍ مِنَ الصَّالِحَاتِ فَقَدْ أَكْمَلَ جُزْءًا مِنْ إِيمَانِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ وَأَفْضَلَهَا، بَلْ وَأَصْلُ الْإِيمَانِ هُوَ قَوْلُ:

{ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }؛فَتَوْحِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالاعْتِرَافُ بِكَوْنِهِ الْإِلَهَ الْوَاحِدَ الْمُدَبِّرَ للكَوْنِ الْمُسْتَحِقَّ للعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَالْعَمَلُ بِمُقتَضَى ذَلِكَ الْإِيمَانِ هُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ،وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } هِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الوُثْقَى،

وَهِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَهِيَ كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، وَخُلِقَتْ لأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ مَعَ الْجَهْلِ بمَعْنَاهَا، أوِ النِّفَاقِ بِهَا، بلِ الْمُرَادُ قَوْلُهَا بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقُهَا بِالْقَلْبِ، وَمَحَبَّتُهَا وَمَحَبَّةُ أَهْلِهَا، وَبُغْضُ مَا خَالَفَهَا وَمُعَادَاتُهُ.

-ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّ أَقَلَّ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ هُوَ تَنْحِيَةُ الْأَذَى وَإِبْعَادُهُ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَالْمُرَادُ بِالْأَذَى: كُلُّ مَا يُؤْذِي؛ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَوكٍ، أَوْ غَيْرِهِ،وَفِي ذَلِكَ سَلَامٌ مَعَ الْبِيئَةِ وَحِفَاظٌ عَلَيْهَا.

-وَأَخْبَرَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيْضًا أَنَّ الْحَيَاءَ دَرَجَةٌ وَعَمَلٌ وَخَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ، وَحَقِيقَةُ الْحَيَاءِ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ،وَالْمُرَادُ بِهِ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: أَلَّا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاك، وَأَلَّا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى أَقْوَى بَاعِثٍ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَعْظَمُ رَادِعٍ عَنِ الشَّرِّ.

-وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ هُنَا؛ لِكَوْنِهِ أَمْرًا خُلُقِيًّا رُبَّمَا يَذْهُلُ الْعَقْلُ عَنْ كَوْنِهِ مِنَ الْإِيمَانِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ وَدَرَجَاتِهِ، فَجَمَعَ هَذَا الْحَدِيثُ بَيْنَ الاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ وَالْأَخْلَاقِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مُكَمِّلَاتٌ للإِيمَانِ، وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ أَجْمَلَ هُنَا شُعَبَ الْإِيمَانِ فَإِنَّهَا مُوَضَّحَةٌ وَمُفَصَّلَةٌ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

-وَحَصْرُ الْعَدَدِ لَا يَعْنِي الاقْتِصَارَ عَلَى الْبِضْعِ وَالسِّتِّين أَوْ الْبِضْعِ وَالسَّبْعِين، وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ خُلُقِ الْحَيَاءِ.

-وَفِيهِ:بَيَانُ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ وَأَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

-وَفِيهِ:أَهَمِّيَّةُ الْحِفَاظِ عَلَى الْبِيئَةِ وَتَحْقِيقُ السَّلَامِ مَعَهَا.

(د) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٥٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. ثُمَّ قَالَ:الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ:

الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ. وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا }.

• شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-طَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْقِيَامُ بِأَوَامِرِهِ سَبَبُ نَيْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعْمَالُ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ مُتَنَوِّعَةٌ وَمُتَعَدِّدَةٌ، وَهِمَمُ النَّاسِ فِي الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا مُتَفَاوِتَةٌ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ أُجُورُ الْعِبَادِ وَدَرَجَاتُهُمْ مُتَفَاوِتَةً عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُحَثُّ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَيُبَيِّنُ أَنْوَاعَ الشُّهَدَاءِ،فَبَدَأَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْحَثِّ عَلَى إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ رَجُلٍ كَانَ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ فَوَجَدَ

غُصْنَ شَوْكٍ يُؤْذِي النَّاسَ، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الغُصْنُ فِي الشَّجَرَةِ مِنْ فَوْقَ يُؤْذِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رُؤُوسِهِمْ، أَوْ مِنْ أَسْفَلَ يُؤْذِيهِمْ مِنْ جِهَةِ أَرْجُلِهِمْ، فَأَزَالَهُ لِيَكُفَّ أَذَاهُ عَنْهُمْ، فَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَكَان جَزَاؤُهُ أَنْ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ عَلَى إِزَالَتِهِ الشَّوْكَ مِنَ الطَّرِيقِ. ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنْوَاعَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ أَجْرُ الشَّهِيدِ وَثَوَابُهُ، وَقِيلَ: سُمِّيَ الشَّهِيدُ بِهَذَا الاسْمِ؛ لأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ مَوْتَهُ، فَكَانَ مَشْهُودًا، وَقِيلَ: مَشْهُودٌ لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَقِيلَ: لأَنَّهُ حَيٌّ عِنْدَ اللهِ حَاضِرٌ، وَقِيلَ: لأَنَّهُ شَهِدَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ.

فَذَكَرَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُنَا خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ؛ أَحَدُهُمْ: الْمَطْعُونُ، وَهُوَ الَّذِي يَمُوتُ فِي الطَّاعُونِ، وَهُوَ الْوَبَاءُ الْعَامُّ، وَالثَّانِي هُوَ: الْمَبْطُونُ، وَهُوَ مَنْ مَاتَ بِدَاءِ البَطْنِ، وَهُوَ الْإِسْهَالُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي بِهِ الاسْتِسْقَاءُ وَانْتِفَاخُ الْبَطْنِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمُوتُ بِدَاءِ بَطْنِهِ مُطْلَقًا، وَالثَّالِثُ: الْغَرِيقُ، وَهُوَ مَنْ يَمُوتُ غَرَقًا فِي الْمَاءِ، وَالرَّابِعُ: صَاحِبُ الْهَدْمِ، وَهُوَ الَّذِي مَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ، وَالْهَدْمُ اسْمٌ لِمَا يَقَعُ، كَالْجِدَارِ وَنَحْوِهِ. وَالْخَامِسُ: الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ الْكُفَّارِ بِأَيِّ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ قِتَالِهِمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ، وَهَذَا هُوَ شَهِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُغَسَّلُ وَلَا يُكَفَّنُ بِغَيْرِ ثِيَابِهِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا وَتُشْرَعُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَإِذَا لَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ جَازَ، بِخِلَافِ الْأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّهُمْ شُهَدَاءُ فِي الْآخِرَةِ فَقَطْ،لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ كَثَوَابِ الشَّهِيدِ،وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيُغَسَّلُونَ وَيُكَفَّنُونَ وَيُصَلَّى عَلَيْهِمْ كَسَائِرِ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ المَوَتَاتُ شَهَادَةً تَفَضُّلًا مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ بِسَبَبِ شِدَّتِهَا، وَكَثْرَةِ أَلَمِهَا.وَقَدْ ذَكَرَتْ رِوَايَاتٌ أُخْرَى أَنْوَاعًا أُخْرَى مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرَ الْخَمْسَةِ الْمَذْكُورِينَ،كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ:{مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ}،وَكَمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ:{ مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ }، وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْعَدَدَ الْمَذْكُورَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا يُفِيدُ الْحَصْرَ، وَالاخْتِلَافُ فِي الْعَدَدِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكأَنَّ الْوَحْيَ نَزَلَ عَلَيْهِ تِبَاعًا، فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُخْبِرُهُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الشُّهَدَاءِ.

ثُمَّ بَيَّنَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَضْلَ التَّأْذِينِ للصَّلَاةِ، وَفَضْلَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالتَّبْكِيرِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَدَاءِ صَلَاتَيْ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَ وَأَجْرَ التَّأْذِينِ للصَّلَاةِ،وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْوُقُوفِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ الَّذِي يَلِي الْإِمَامَ مِنْ ثَوَابٍ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا وَسِيلَةً للوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَقْتَرِعُوا عَلَيْهِ؛ لاقْتَرَعُوا؛ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْكَبِيرِ. ثُمَّ حَثَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى التَّبْكِيرِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَا فِي التَّبْكِيرِ إِلَى الصَّلَاةِ -أَيَّ صَلَاةٍ كَانَتْ- مِنَ الثَّوَابِ وَالْفَضْلِ؛لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ. وَكَذَا لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي أَدَاءِ صَلَاةِ الْعَتَمَةِ -وَهِيَ صَلَاةُ العِشَاءِ- وَصَلَاةِ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ ثَوَابٍ وَأَجْرٍ؛ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ كَانَ الْإِتْيَانُ إِلَيْهِمَا حَبْوًا وَزَحْفًا عَلَى الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ وَالْبُطُونِ.

وَقَدْ ذَكَرَ رسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-صَلاةَ العِشَاءِ هُنَا بِاسْمِ { الْعَتَمَةِ }، وَوَرَدَ عَنْهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-النَّهْيُ عَنْ تَسْمِيَةِ الْعِشَاءِ بِالْعَتَمَةِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:

{ لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، هِيَ الْعِشَاءُ، أَلَا إِنَّهُمْ يُعْتِمُونَ بِالْإِبِلِ }، فَقِيلَ فِي ذَلِكَ: إِنَّ هَذَا النَّهْيَ الْوَارِدَ للتَّنْزِيهِ وَلَيْسَ للتَّحْرِيمِ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هُنَا لِمَصْلَحَةٍ، وَهِيَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ بِالْعِشَاءِ، وَصَلَاةَ الْعِشَاءِ

بِالْعَتَمَةِ تَسْمِيَةً لَهَا بِالْوَقْتِ،فَاقْتَضَى ذَلِكَ التَّوْضِيحَ بِلِسَانِهِمْ أَحْيَانًا؛ لِكَيْلَا يَخْتَلِطَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ وَيَفْسُدَ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقِيلَ: اسْتَخْدَمَهَا النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِبَيَانِ عَدَمِ الْحَرَجِ فِي ذِكْرِهَا لَكِنَّهُ خِلَافُ الْأَوْلَى.

–وَفِي الْحَدِيثِ: فَضِيلَةُ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَهِي أَدْنَى شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَطَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

–وَفِيهِ: فَضِيلَةُ التَّأْذِينِ وَالسَّبْقِ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ.

–وَفِيهِ: فَضِيلَةُ التَّبْكِيرِ إِلَى الصَّلَاةِ.

–وَفِيهِ: فَضِيلَةُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ.

• أَلَا فَلْنَتَّقِ اللهَ رَبَّنَا، وَلْنَتَأَدَّبْ بِآدَابِ دِينِنَا، وَلْنَجْتَنِبْ مَا نُهِينَا عَنْهُ؛ فَإِنَّ الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ فِي التَّأَدُّبِ بِآدَابِ الإِسْلَامِ، وَإِنَّ الهَلَاكَ وَالشَّقَاءَ وَالخُسْرَانَ فِي الإِعْرَاضِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى ،قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ }.(الحَشْرُ:٧).

• فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ وَالْمُتَابَعَةَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ،وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى النَّبِيِّ الْقُدْوَةِ وَالرَّسُولِ الْأُسْوَةِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية